

خطبة بعنوان: البحر الزاخر في فضل العشر الأواخر

بتاريخ: 21 رمضان 1438هـ - 16 يونيو 2017م

عناصر الخطبة:

العنصر الأول: خصوصية أمة محمد بنفحات وبركات

العنصر الثاني: هدي الرسول والسلف الصالح في هذه العشر

العنصر الثالث: أعمال العشر الأواخر من رمضان

المقدمة: أما بعد:

العنصر الأول: خصوصية أمة محمد بنفحات وبركات.

عباد الله: من فضل الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن جعل لهم مواسم للطاعات تتضاعف فيها الحسنات، وترفع فيها الدرجات، ويغفر فيها كثير من المعاصي والسيئات، فالسعيد من اغتنم هذه الأوقات وتعرض لهذه النفحات، ومن هذه النفحات العشر الأواخر من رمضان بما فيها ليلة القدر؛ لهذا حثنا صلى الله عليه وسلم على اغتنام هذه النفحات حيث قال: "اطلبوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، فاسألوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم" (أخرجه ابن الدنيا والطبراني بسند حسن)، وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: "إن لربكم في أيام الدهر نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبداً" (أخرجه الطبراني)، ولو نظرنا إلى أعمار الأمم السابقة لوجدنا أنهم كانوا يعيشون المئات بل الآلاف من السنين، فهذا نوح عليه السلام لبث في قومه 950 سنة، قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } (العنكبوت: 14)، فمدة بعثة نوح عليه السلام 950 سنة، وعاش قبل البعثة فترة وبعد الطوفان فترة، يعني أكثر من ألف عام، فلو قارنت عمرك وحسبت صلاتك وصومك وزكاتك وجميع أعمالك في عمرك الذي يتراوح بين الستين والسبعين، فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ؛ وَأَقْلُهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ" (الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه) فكم تكون أعمالك بين هذه الأعمار المديدة!!! وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم بذلك، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّ يَزَلُ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ"، فالله زاد الأمم الماضية بسطة في الجسم والعمر، وما زال الخلق يقصر طولاً وعمراً حتى الآن، لذلك خص الله هذه الأمة بنفحات تتمثل في أوقات قليلة تشمل فضائل ورحمات غزيرة حتى تلحق هذه الأمة غيرها من الأمم في الأجر والفضل والثواب، وإليك بعض الأمثلة مدعمة بالأدلة الصحيحة الصريحة من القرآن والسنة:-

أولاً: كثرة الأجر مع قلة العمل وقصر الوقت

فقد أخرج البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءً؛ فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ عُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيْرَاطٍ؟ فَعَمِلْتُ الْيَهُودَ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيْرَاطٍ؟ فَعَمِلْتُ النَّصَارَى. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيْرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ. فَعَضِبْتُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقْلَ عَطَاءً؟! قَالَ: هَلْ نَفَضْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟! قَالُوا: لَا؛ قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءٍ."، فمضاعفة الأجر مع قلة العمل وقصر الوقت، خصوصية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: شهر رمضان المبارك

فشهر رمضان من أعظم نفحات وخصوصيات أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنك إذا وقفت فيه لعمل صالح فإنك ستسبق الجميع إلى الجنة حتى الشهيد. فعن أبي هريرة قال: كَانَ رَجُلَانِ مِنْ بَلِيٍّ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَشْهِدَا أَحَدُهُمَا وَأَجْرَ الْآخَرَ سَنَةً. قَالَ

طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: فَأَرَيْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ!! فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلَاةَ السَّنَةِ!!" (السلسلة الصحيحة، الألباني)، فمع أنهما أسلما في يوم واحد ومات الأول شهيداً، إلا أن تأخير موت الآخر سنة جعله سابقاً للشهيد إلى الجنة لأنه أدرك شهراً من رمضان زيادة على صاحبه وبارك الله له فيه.

ثالثاً: صلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة

فمن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة" (أخرجه أحمد وابن ماجه بإسنادين صحيحين)، فصلاة واحدة تعدل مائة ألف صلاة، ولو قسّمنا مائة ألف صلاة على خمس صلوات في اليوم، ثم السنين لخرج الناتج 55 سنة و6 أشهر و20 يوماً، هذه صلاة واحدة فما بالك لو صليت شهراً أو شهرين في المسجد الحرام!!!!!!

رابعاً: سبق أمة محمد جميع الأمم يوم القيامة

لا شك أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ستسبق الأمم السابقة يوم القيامة، كما بشرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ بَيِّدْ أَيْدِيَهُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا"، فمع أن اليهود والنصارى قبلنا في الدنيا إلا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم قبلهم وسابقة لهم في البعث والحساب ودخول الجنة؛ كما صرحت بذلك رواية الإمام مسلم حيث قال صلى الله عليه وسلم: "نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ"، وفي رواية عند مسلم أيضاً: "نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَنَحْنُ أَوْلَى مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ"؛ أقول: لو أنك وضعت طعاماً في إناء كبيرٍ وأردت أن تغرف منه؛ فإن آخر الطعام وضع هو أول طعام عُرف، والله المثل الأعلى.

خامساً: ليلة القدر تعدل ألف شهر

قال ابن كثير في تفسيره عن مجاهد: "أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، قال: فَعَجِبَ المسلمون من ذلك، قال: فأنزل الله عز وجل: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ؛ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } (القدر : 1-3) التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر، فليلة واحدة خير من عبادة 83 سنة من الأمم الماضية، فما بالك لو صادفتك ليلة القدر عشرين سنة مثلاً."

وعن الإمام مالك أنه سمع من يتقى به من أهل العلم يقول: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى أَعْمَارَ النَّاسِ قَبْلَهُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَكَأَنَّهُ تَقَاصَرَ أَعْمَارُ أُمَّتِهِ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طُولِ الْعُمُرِ؛ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ" (الموطأ).

وهناك أمثلة كثيرة لمضاعفة الأجر والفضل لا يتسع المقام لذكرها، وما ذكر على سبيل المثال لا الحصر، وأنت بذلك خبير في معرفة بقية الأمثلة من الكتاب والسنة.

فالحمد لله الذي أنعم على الأمة المحمدية بمواسم الطاعات وميادين الخيرات، وساحات المغفرة والرحمات، حيث يتسابقون فيها إلى رضوانه، ويتنافسون فيما يقربهم من فضله وإحسانه، وهذه المواسم منحة ومنة من الله تعالى على عباده؛ لأن العمل فيها قليل والأجر والثواب جزيل، وهي والله فرصة عظيمة لا يجرم خيرها إلا محروم، ولا يغتنمها إلا من وفقه الله.

أيها الإخوة المسلمون: إن من أعظم نفحات أمة محمد صلى الله عليه وسلم على الإطلاق (ليلة القدر)؛ وهذه هبة ربانية لا تكون إلا للأمة المحمدية؛ أمة العمل القليل والأجر الكبير والفضل العظيم، لتحمد الله أن جعلك من أمة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم:

وما زادني فخراً وتيهاً وكدت بأخصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

أحبتي في الله: ليلة القدر دعوة لكل المتخاصمين والمتشاحنين والمتحاسدين والمتباغضين أن يصطلحوا حتى تنزل البركات والرحمات؛ لأن البغضاء والشحناء سبب لرفع البركات؛ وقد وقفت مع نفسي وقفة وتأثرت كثيراً حينما قرأت حديثاً عن ليلة القدر في صحيح البخاري. فعن عبادة بن الصامت: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَإِنَّهُ تَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرَفَعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ" قلت: رفعت أعظم ليلة بسبب شجارٍ وخصامٍ بين رجلين!!! فما بالكم بواقع الأمة الآن!!!!!!

ألا فلنسارع إلى المصافحة والمصالحة والعتو والسماحة ونغتنم قيام هذه الليلة حتى نفوز بمغفرة الله ورضوانه؛ فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" (البخاري).

إما إذا انغمسنا في الدنيا والتقاطع والتشاحن فقد حرمتنا الخير كل الخير؛ فعن أنس بن مالك، قال: دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا، فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مُحْرَمٌ." (ابن ماجه بسند حسن)؛ كما ينبغي أن نكثر في هذه الليلة من الدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن عائشة، أَمَّا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: "تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ نُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي." (أحمد والنسائي والحاكم وصححه).

العنصر الثاني: هدي الرسول والسلف الصالح في هذه العشر

عباد الله: للعشر الأواخر من رمضان فضلٌ عظيمٌ عند الله تعالى؛ وقد ذكرها الله في قوله: {وَالْفَجْرِ؛ وَلَيَالٍ عَشْرٍ} (الفجر: 1؛ 2)؛ وقد ذهب بعض المفسرين أنها العشر الأواخر من رمضان؛ لذلك كان يجتهد فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالطاعة والعبادة والقيام؛ فعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ؛ وَأَيَّقُظْ أَهْلَهُ؛ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ" (متفق عليه) قال الإمام ابن حجر: "أي سهره فأحياه بالطاعة وأحياء نفسه بسهره فيه لأن النوم أخو الموت وأضافه إلى الليل اتساعاً لأن القائم إذا حيي باليقظة أحيى ليله بحياته، وهو نحو قوله "لا تجعلوا بيوتكم قبوراً" أي لا تناموا فتكونوا كالأموات فتكون بيوتكم كالقبور." (فتح الباري)؛ وشد المئزر كناية عن بلوغ الغاية في اجتهاده صلى الله عليه وسلم في العشر الأواخر؛ يقال: شددت لهذا الأمر مئزري؛ أي: تشمرت له وتفرغت؛ وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء للاشتغال بالعبادات.

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا" (مسلم) يقول الإمام النووي: "يستحب أن يزداد من الطاعات في العشر الأواخر من رمضان، واستحباب إحياء ليلته بالعبادات."

وقد سارت قوافل الصالحين المقربين على طريق النبي -صلى الله عليه وسلم- تقف عند العشر وقفة جد وصرامة تمتص من رحيقها وتنهل من معينها، وترتوي من فيض عطاءاتها، وتعمل فيها ما لا تعمل في غيرها.

قال أبو عثمان النهدي: «كانوا يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأول من محرم، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان».

ومن شدة تعظيمهم لهذه الأيام كانوا يتطيبون لها ويتزينون، قال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر، وكان النخعي يغتسل كل ليلة!

ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر، فقد روي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب ولبس حلة إزار ورداء فإذا أصبح طواها فلم يلبسها إلى مثلها من قابل.

وكان أيوب السخيتاني يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين، ويلبس ثوبين جديدين ويستحجر.

وكان ثابت البناني وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبان المسجد بالنضوح في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.

قال ثابت: وكان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم وكان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.

هكذا كانوا تعظيماً لهذه العشر، وهكذا كانوا اجتهاداً في العبادة وانقطاعاً لها في هذه الليالي المباركات.

فأين نحن من قوم كانوا أنضاء عبادة وأصحاب سهر؟!!

غدا توفي النفوس ما كسبت..... ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

وقال أحمد بن حرب: "يا عجباً لمن يعرف أن الجنة تُزَيَّن فوقه، وأن النار تسعَّر تحته، كيف ينام بينهما؟!".

أذكر قصة من حياة أسلافنا في حلس البيوت التي اليوم تشكو وتعاني من كثير مما يلهي ويغري ويصرف عن طاعة الله عز وجل، امرأة حبيب العجمي -وهو أحد السلف- تقول له في الليل: قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سرت ومضت، ونحن بقينا.

فانظر: هذه امرأة لم تشغل بطعام ولا بشراب، ولا بوصفات إعداد الأطعمة، ولا بالموضات وما ينزل خصيصاً في العشر الأواخر من الملابس والموديلات والموضات، لقد شغلتهم المشاغل الإيمانية، وألهتهم عن هذه الأمور الدنيوية.

يا نائم الليل كم ترقدُ قم يا حبيبي قد دنا الموعدُ

وخذ من الليل وأوقاته وِرْدًا إذا ما هجع الرُقْدُ

من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل أو يزهْدُ

قل لذوي الأبواب أهل التقى قنطرة العُرْض لكم موعِدُ

يقول الشيخ عبدالله الطيار: "لاحظوا الفرق بين واقعنا وواقع سلفنا الصالح، كانوا يقضون نهارهم بالصيام وتلاوة القرآن وليلهم بالركوع والشجود والتسبيح والتهليل، ويقضي الكثيرون من نهارهم بالنوم وليلهم باللهو واللعب الحرام، وشرب الدخان ولعب الورق، وغيرها مما يعود على المسلم بضرر في عاجله وآجله." (فيض الرحيم الرحمن في أحكام رمضان).

وهكذا الفرق بين حالنا وحال سلفنا الصالح؛ وكفى بالواقع المعاصر على ذلك دليلاً!!

العنصر الثالث : أعمال العشر الأواخر من رمضان

عباد الله: إذا أردتم النجاح والفلاح والفوز بهذا الشهر الكريم؛ ولا سيما العشر الأواخر منه؛ فإني أقدم لكم برنامجاً إيمانياً يشتمل على أعمال فاضلة في هذه العشر؛ حتى نلحق بقوافل الزاهدين العابدين؛ وتتمثل هذه الأعمال فيما يلي:

أولاً: قيام ليلها: اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم كما في عنصرنا السابق؛ وينبغي إيقاظ الأهل والأولاد لاغتنام هذه الليالي المباركة. قال

سفيان الثوري رحمه الله : أحب إليّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجّد بالليل، ويجتهد فيه، ويُنهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطافوا ذلك .

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ، نَضَحَ فِي وَجْهِهَا

المَاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ." (أحمد وأبوداود والحاكم وصححه).

وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، يقول لهم: الصلاة

الصلاة، ويتلو هذه الآية: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه:132].

إن هذه العناية بأمر الزوجة والأهل والأولاد تجعل من البيت المسلم يعيش في روحانية رمضان هذا الشهر الكريم؛ عندما يقبل الأب والأم

والبنين والبنات على الصلاة والعبادة والذكر وقراءة القرآن، ولنحفزهم على ذلك الخير؛ فمن دعا إلى هدى كان له من الخير والأجر مثل أجور

من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .

ثانياً: الاجتهاد في نهارها: فيخصّ جميع زمان العشر الأواخر من رمضان ليله ونهاره بمزيد من الاجتهاد والعبادة . " قال الشافعي رحمه الله:

استحبُّ أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها، وهذا يقتضي استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الأواخر ، ليله ونهاره ، والله

أعلم." (لطائف المعارف) .

ثالثاً: الاعتكاف: فهو من أعظم العبادات في هذه العشر؛ وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على سنة الاعتكاف في رمضان كل عام؛ وقد استن بهذه السنة أزواجه والصالحون من بعده صلى الله عليه وسلم؛ فعن عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ؛ ثُمَّ اغْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ" (متفق عليه)؛ وفي العام الذي لم يعتكف فيه النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة الاختلاط فضاه في شوال؛ وهذا يدل على أهمية الاعتكاف وفضله؛ فعن عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَعْتَكِفَ؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَعْتَكِفَ؛ إِذَا أَحْبَبِيَّةٌ: حَبَابُ عَائِشَةَ؛ وَحَبَابُ حَفْصَةَ؛ وَحَبَابُ زَيْنَبَ؛ فَقَالَ: أَلَيْسَ تَقُولُونَ بِيهِ؟! ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَمْ يَعْتَكِفَ؛ حَتَّى اغْتَكَفَ عَشْرًا مِنْ شَوَّالٍ" (متفق عليه)؛ يقول الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي تعليقا على سبب تركه صلى الله عليه وسلم الاعتكاف ثم اعتكافه في شوال: "لأنه صلى الله عليه وسلم رآهن عنده في المسجد وهو في المسجد؛ فصار كأنه في منزله بحضوره مع أزواجه؛ وذهب المهم من مقصود الاعتكاف وهو التخلي عن الأزواج ومتعلقات الدنيا وشبه ذلك"

لذلك عندما تؤدي سنة الاعتكاف أخي الصائم فإنك تحي سنة نبوية كريمة مهجورة منذ أزمنة طويلة؛ فعن الإمام الزهري رضي الله عنه قال: "عجبا للمسلمين! تركوا الاعتكاف مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله عز وجل".

عباد الله: إن الاعتكاف فيه تسليم المعتكف نفسه بالكلية إلى عبادة الله تعالى طلب الزلفى، وإبعاد النفس من شغل الدنيا التي هي مانعة عما يطلبه العبد من القربى، وفيه استغراق المعتكف أوقاته في الصلاة، لأن المقصد الأصلي من شرعية الاعتكاف انتظار الصلاة في الجماعات، وتشبيه المعتكف نفسه بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون.

والاعتكاف المستحب ليس له وقت محدد، ولك أن تجمع بين عملك واعتكافك؛ فيكون اعتكافك ليلا وعملك نهارا؛ فهو يتحقق بالمثل في المسجد مع نية الاعتكاف طال الوقت أم قصر حتى ولو لحظة؛ ويثاب ما بقي في المسجد، فإذا خرج منه ثم عاد إليه جدد النية إن قصد الاعتكاف، فعن يعلى بن أمية قال: إني لأمكث في المسجد ساعة ما أمكث إلا لأعتكف. (فقه السنة للشيخ سيد سابق)

ويكفي المعتكف أنه ترك الدنيا وشهواتها وأقبل على الله بقلبه وجوارحه؛ واقفا على بابه متعلقا بأعبائه؛ يدعو ويتهل إليه راجيا رحمته ورضوانه. قال عطاء - رحمه الله - "مثل المعتكف كرجل له حاجة إلى عظيم؛ فجلس على بابه ويقول لا أبرح حتى تقضي حاجتي؛ وكذلك المعتكف يجلس في بيت الله ويقول: لا أبرح حتى يُغفر لي".

رابعاً: قراءة القرآن: فعليك أن تكثر من قراءة القرآن الكريم ليلاً ونهاراً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن جبريل عليه السلام كان يلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن." (البخاري ومسلم)، وهكذا كان السلف الصالح يقرؤون القرآن في رمضان في الصلاة وغيرها، وكان لأبي حنيفة والشافعي في رمضان ستون ختمة في غير الصلاة، وكان بعضهم يختم القرآن كل ليلة من ليالي العشر، وربما أشكل على بعضهم ثبوت النهي عن قراءة القرآن الكريم في أقل من ثلاث، "وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المتداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن، اغتناماً للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم". (لطائف المعارف) ١هـ. وكان قتادة - رحمه الله - يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا دخل رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا دخل العشر ختم في كل ليلة مرة.

خامساً: كثرة الدعاء: فللصائم عند فطره دعوة لا ترد، فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ؛ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ؛ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ؛ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْعَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ". [أحمد وابن ماجه والبيهقي وابن حبان والترمذي وحسنه]. وكان عبد الله بن عمرو بن العاص إذا أفطر يقول: "اللهم إني أسألك - برحمتك التي وسعت كل شيء - أن تغفر لي".

وكثير منا أيضاً يخطئ حينما يستبطئ الإجابة؛ وقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ " قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: " يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبْ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ " (مسلم) ؛ وليعلم هذا المسكين الذي استبطأ الإجابة فترك الدعاء أنه خسر ثواباً وأجراً عظيماً عند الله؛ لأن الله توعده بالإجابة عاجلاً أو آجلاً ؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من مسلمٍ يدعو الله عزَّ وجلَّ بدعوةٍ ليسَ فيها إثمٌ ، ولا قَطِيعَةٌ رَحِمَ ، إِلَّا أعطاهُ اللهُ بِهَا إحدى ثلاثٍ خصالٍ : إمَّا أن يعجِّلَ لَهُ دعوتَهُ ، وإمَّا أن يدخرها له في الآخرة ، وإمَّا أن يصرفَ عنه مِنَ السُّوءِ مثلَهَا . قالوا : إذا نُكِّثُ ، قالَ : اللهُ أَكْثَرُ " [أحمد والحاكم والترمذي وصححا]؛ فانظر إلى الصحابة قالوا : إذا نُكِّثُ ؛ لأن الإجابة مضمونة في إحدى هذه الثلاث طالما التزمت بشروط الدعاء وآدابه؛ فإما أن يعجل الله لك الدعوة؛ أو يصرف عنك مصيبة أو نازلة كانت ستنزلك بك رفعها الدعاء؛ أو يدخرها لك في الآخرة؛ يقول: عبدي دعوتني في يوم كذا في ساعة كذا بدعوة كذا فإذهب إلى قصر كذا في الجنة؛ وقتها يقول العبد: يارب ليتك لم تستجب لي ولا دعوة في الدنيا!!! فلنكثر من الدعاء عند الإفطار فالدعاء مجاب؛ والله أكثر وأكثر!! لذلك قال يحيى بن أبي كثير: أفضل العبادة كلها الدعاء. وروى أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه: أنه كان يواظب على حزبه من الدعاء كما يواظب على حزبه من القرآن.

سادساً: تحري ليلة القدر: فقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم في هذه العشر الأخيرة من رمضان أنه يتحرى ليلة القدر، وقال في ذلك: " مَنْ كَانَ مُتَحَرِّبَهَا فَلَيْتَحَرَّهَا مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ . " (البخاري)؛ فإيا سعادة من نال بركتها وحظي بخيرها، ويستحب الإكثار من الدعاء فيها.

سابعاً: الإكثار من الجود: فشهر رمضان يمتاز بأنه شهر المواساة والتراحم والجود والكرم والتكافل بين المسلمين، ولهذا السبب نفسه " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ " (البخاري). قال ابن رجب - رحمه الله تعالى - : " وكان جوده - صلى الله عليه وسلم - كله لله - عز وجل - وفي ابتغاء مرضاته؛ فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه... وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطي عطاءً يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يُوقَدُ في بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع.

والجود معناه الاستكثار من سائر أنواع الخير، كالإنفاق، وحسن الخلق، وبر الوالدين، وبذل الخير، ونشر العلم، والجهاد في سبيله، وقضاء حوائج الناس، وتحمل أثقالهم، ومناصرة المستضعفين ودعمهم؛ وكافة صور الخير والبر والإحسان!!.

أيها المسلمون: عليكم بالجد والاجتهاد في هذه العشر بالقيام وقراءة القرآن؛ والذكر والدعاء والصدقات وسائر القربات؛ فهذه فرصة لن تعوض ولن تعود؛ وقبل أن نندم ولا ينفذ الندم!! { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ؛ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } (المؤمنون: 99 ؛ 100)؛ وقد وقف الحسن البصري على جنازة رجلٍ فقال لصاحب له يعظه: تُرى هذا الميت لو رجع إلى الدنيا ماذا يصنع؟! قال: يكثر من الطاعات؛ قال له الحسن: قد فاتته فلا تفتك أنت!! أقول لكم أيها المسلمون: قد فاتت من كان قبلكم؛ والفرصة ماثلة أمامكم فماذا أنتم فاعلون!!

ولذلك شكى وبكى الصالحون والطالحون ضيقَ العمر، وبكى الأخيارُ والفجائرُ انصرامَ الأوقات، فأما الأخيارُ فبكوا وندموا على أنهم ما تزودوا أكثر، وأما الفجائرُ فتأسفوا على ما فعلوا في الأيام الخالية.

نسأل الله أن يتقبل صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا ؛ وأن يكتبنا عنده من الصائمين القائمين المغفور لهم يا رب العالمين .

الدعاء،،،،، وأقم الصلاة،،،،،

كتبه : خادِمُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

د / خالد بدير بدوي